مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: **09** عدد: **01** السنة **2023** E-ISSN:2588-2325

تأملات في تصور المثقف الجزائري للهوية الثقافية الوطنية: دراسة ميدانية لعينة من مثقفي ولاية البويرة

Reflections on the Algerian intellectual's conception of national cultural identity: A field study of a sample of intellectuals from the wilaya of Bouira

حمدي عيسى*، مخبر : المجتمع و الأسرة، جامعة باتنة ، aissa.hamdi@uni-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2022/11/04 تاريخ القبول: 2023/05/06 تاريخ الإرسال: 2023/06/30

ملخص:

إن المجتمع الجزائري، ككل المجتمعات التي تعرضت للغزو نيفا من الزمان، قد تعرضت هويته الجماعية لمراجعات متتالية بفعل الاتصال بالحضارات والثقافات واللغات الوافدة الغالبة كل واحدة بحسب خصوصيتها، فهناك ثقافات كان التواصل معها سلسا ومسالما في حين أن هناك أخرى كان الاتصال بها عنيفا ومتشنجا، مما شكل عند البعض ثراء وتنوعا في إطار الوحدة، بينما شكل عند البعض الآخر " هويات قاتلة" ووقودا للتفرقة والتفكيك. ولقد شهد المشهد الاجتماعي سجالا محتدما على سؤال الهوية منذ الحركة الوطنية في أربعينيات القرن الماضي واستمرت تلك التجاذبات والتشنجات إلى ما بعد استرجاع السيادة الوطنية، لتظهر الحركات الثقافية المطلبية كالحركة الثقافية البربرية والحركات الإسلامية مما يوحي بوجود أزمة هوياتية في المجتمع. هذا ما دفعنا للتفكير في هذه القضية لمساءلة الواقع الثقافي من خلال الاقتراب من نخبة من المثقفين (عينة لمثقفي ولاية البويرة) ومحاولة التعرف على مختلف تصوراتهم حول الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري والوقوف على أهم العوامل التي تحدد هذه التصورات عند كل تيار من تيارات المشهد الثقافي و السياسي.

الكلمات المفتاحية: المثقف، الهوية، المواطنة، الخلفية الثقافية، الأصل الاجتماعي.

* المؤلف المرسل.

Abstract:

Like all countries that have suffered consecutive invasions by invading peoples, Algerian society has undergone an operation of formation and reformation of its collective identity due to contact with civilizations, cultures and languages. affluent through acculturation following contact with the dominant cultures each with its specificity, there were cultures with which the contact was flexible and peaceful while others the contact with them was violent and tense, which has created in one part richness and diversity within the framework of unity, while in others it has created "murderous identities" and a fuel for separation and dislocation. The social scene has known heated debates concerning the question of identity since the nationalist movement of the forties of the last century. The negotiations and the tensions were spread out until after the recovery of national sovereignty, so that protest cultural movements such as the Berber cultural movement and the Islamist movements appeared, which implies that there is an identity crisis. in the society. What prompted us to think about this question and question the cultural reality by approaching an elite of intellectuals (sample of intellectuals from the wilaya of Bouira) and trying to know their different perceptions of the cultural identity of Algerian society and tackle the main factors that determine these perceptions in each current of the currents of the cultural and political scene.

Keywords: intellectual, identity, citizenship, cultural background, social origin.

تقدمة:

إن الجزائر ملتقى الحضارات، تخمرت فيها عدة لغات و ثقافات و أديان مما خلق فسيفساء ثقافية جميلة صهرت كل التنوعات. و لكن مع الصدمة الاستعمارية و بعد استرجاع السيادة الوطنية، طهرت إلى الوجود بعض التشنجات و التوترات الثقافية خول ماهية الهوية الثقافية، لتظهر الثنائيات عربي/بربري ، معرب/مفرنس ، إسلاموي/ديمقراطي إلخ،هذا السجال الهوياتي كانت تجليات عدة ، كمعركة التعريب ، الربيع البربري و إرهاب العشرية الدموية، ليؤدي ذلك إلى ظهور تباين في التصورات بين مختلف النخب المثقفة حول

العناصر المكونة للهوية الثقافية الوطنية ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتبحث في أهم محددات تصور هؤلاء المثقفين للهوية هل هو الأصل الاجتماعي للمثقف؟ أم هي خلفيته الثقافية؟ و لقد وضعنا الفروض التالية:

1-هناك اختلاف في تصورات المثقفين للهوية الثقافية تبعا لاختلاف أصولهم الاجتماعية.

2-هناك اختلاف في تصورات المثقفين للهوية الثقافية وفقا لاختلاف خلفياتهم الثقافية.

3-هناك اختلاف في تصورات المثقفين للإسلام مما أدى إلى اختلاف تصوراتهم حول إمكانية إعادة بناء الهوية وفق ثقافة المواطنة

وتكمن الأهمية النظرية للدراسة الراهنة في أن هناك دراسات عديدة أجريت حول المثقفين والهوية ولكن كلا على حدة، إلا أن هذا البحث يسعى إلى دراسة تصورات المثقفين للهوية وما هي العوامل المؤثرة في بناء هذه التصورات .و تأتي الأهمية العملية في أن التنمية العامة للمجتمع تمر حتما بالاتفاق على مشروع المجتمع، و هذا لا يتأتى إلا بالاتفاق على هوية هذا المجتمع لذا كان من الضروري التعرف على أهم تصورات المثقفين لمختلف القضايا ذات العلاقة بالهوية من أجل محاولة إعداد البرامج العلاجية والوقائية والتوعية لرأب الصدع بين مختلف فئات المجتمع و إعادة اللحمة لها. ولقد استعنا في بحثنا بالمنهج الوصفي التحليلي إضافة إلى المنهج التاريخي مع تبني الاستبانة كأداة أساسية لجمع البيانات لعينة قصدية من مثقفي ولاية البويرة.

تحديد المفاهيم:

1- مفهوم" التصور:"

إن مفهوم" التصور "لا يعني فقط" الصورة "و لكنه نشاط حقيقي للعقل، وهناك تعريف رابع يعطي دلالة نفسية و ثقافية لمفهوم" التصور "فحسب " R.Lafont" (R.lafont, 1984, p. 104) فإن" التصور عبارة عن عملية إحضار موضوع أو إحساسه للعقل أو للذاكرة عن طريق صورة أو رمز...إن التصورات تخلو من كل مشاركة راهنة."

وهذا ما نريد من خلال هذا البحث أن نتطرق له نظرا لكون المثقف تركيبة حميمية وأحيانا أخرى متناقضة بين ما هو سياسي وما هو ثقافي و ما هو تاريخي مما يؤدي حتما إلى إنتاج تصورات مختلفة حول القضايا المختلفة و منها قضية الهوية.

2- مفهوم" المثقف:"

"المثقف" تحدده مختلف الأوساط الفكرية بتعاريف متعددة، مما يثير حوله الكثير من الغموض والتعقيد، فيعرفه "غرامشي" على أنه ذلك المفكر الذي يُعبر عن طبقته الاجتماعية التي يكون فيها وينتج قيما تعارض قيم الطبقات الأخرى (Antonio، 1977، الصفحات 597-598). بينما يعرفه"سارتر" بأنه العالم

أو تقني المعرفة الذي يتجاوز بعلمه و عمله صلاحيته كعالم متخصص إلى نقد ذاته و المجتمع باسم مصالح الإنسانية (ساتر، 1973، الصفحات 33-36)

وكتعريف إجرائي لمفهوم المثقف نقول أنه العنصر من المجتمع الذي استوعب ثقافته الفرعية أو الكلية للمجتمع و سعى لإثرائها و نقدها ونشرها بهدف المحافظة على استمراريتها عبر الأجيال، وهو الناطق الرسمي لمشروع اجتماعي ، يستمد روحه من الشعب.

3- مفهوم " الهوية"

إن الهوية من منظور أكثر شمولا ، تعكس مواقف لمجموعة اجتماعية تتعارف فيما بينها (Ilikoud، la France et le berberisme، 1999، صفحة 125) ، كما أنها قاعدة لنظرية " الفعل " و تُعتبر ضرورية للفاعلين الاجتماعيين أكثر من وعيهم بالأهداف المراد تحقيقها هذا على الصعيد السوسيولوجي ، أما ثقافيا فهي قدر تاريخي مُلزم للمثقف باعتبارها أداة لتحليل التراث واستيعاب حركية الزمن ، فلا يمكن أن نستوعب التراث و أن نتجاوزه ما لم نفهم آلياته كما يؤكد ذلك " الخطيبي " : فالهوية هي استيعاب وتجاوز وجدلية ضمنية حسب مفهوم " هايدغر " وتجبره على إقرار الاختلاف و الفروق " (Ilikoud، la France et le Berberisme، 1999، صفحة 125)

4- مفهوم الأصل الاجتماعي:

إن المقصود بالأصل الاجتماعي هو مكانة الأفراد في السلم الاجتماعي، وهذه المكانة يمكن تحديدها من خلال المستوى التعليمي والصنف الاجتماعي المهني ولكن هناك من يعتمد على الأصل الجغرافي أيضا في إبراز الأصل الاجتماعي، فالأصل الجغرافي استعمله الأستاذ "عبد الرحمان بوزيدة "في تطرقه للأصل الاجتماعي، بحيث يعتبره" ذلك الموقع الريفي أو الحضري الذي احتضن الأفراد. (Bouzida, 1970, p. 76)و نظن أن هذا التعريف كان صالحا في زمن معين أين كان الريف و المدينة يتمايزان كثيرا.

أما نحن فنتبنى التعريف الإجرائي التالي :سنركز في الأصل الاجتماعي للمثقف على أصوله الجغرافية واللغوية بمعنى أدق من حيث لغة المنشأ ومكان المنشأ..

5- مفهوم الخلفية الثقافية:

إن المقصود بالخلفية الثقافية حسب تعريف"**جيه روشيه**" للتنشئة الاجتماعية، هو تلك الرموز التي تعلمها واستبطنها الأفراد خلال الأطوار الأولى من حياتهم، والنابعة من التراث الاجتماعي والتي عبر عنها ابن خلدون" بالملكات."

وهو نتاج تاريخ فردي ولكنه يتكون أيضا من خلال التجارب التكوينية للطفولة والتاريخ الجمعي بأكمله للعائلة و الطبقة والذات السوسيولوجية ليست هي الأنا مفردة، بل الأثر الفردي المتميز للتاريخ الجمعي" (بورديو، 1995 ، صفحة 3)

6- **مفهوم المواطنة:**

إن هذا المفهوم حديث في أبجديات السياسة المتداولة في دول العالم العربي وبخاصة في بلدنا ولقد ظهر مع الثورة الفرنسية. ويقصد بالمواطنة، العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع بما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وهو ما يعني أن كافة أبناء الشعب الذين يعيشون فوق تراب الوطن الواحد سواسية بدون أدنى تميز قائم على أي معايير تحكمية مثل الدين أو الجنس أو اللون أو المستوى الاقتصادي أو الانتماء السياسي والموقف الفكري. هي مؤشر لانتماء الفرد لجماعة سياسية واحدة وهي الأمة. كما أن المواطنة تعتبر تجليا أو تمثلا لهوية مشتركة هي الهوية الثقافية والتاريخ المشترك والذاكرة الجماعية للمجتمع.

إشكالية المثقف و الهوية : أو المقاربة النظرية

إن النظام الاجتماعي هو مجموعة من الأدوار، و عليه فإنه انطلاقا من هذه الأدوار تتحدد السلطة والنفوذ، وهذا ما يجرنا إلى القول بأن النظام الاجتماعي ما هو إلا مجموعة أدوار مختلفة في امتلاكها للسلطة والنفوذ والتوجيه والقيادة والمسؤوليات والوظائف والأعمال التنظيمية، والتناقض يحصل بين مسؤوليات وواجبات الأدوار التسلطية و رغبة الأفراد الذاتية في السيطرة على الآخرين، هذه الرغبة نابعة من الضغوطات القوية والتعسفية الممارسة عليه من قبل المراكز العليا و مصالح أصحابها الذاتية ، واستمرار هذه الوضعية المتناقضة داخل النظام هي التي تؤدي إلى خلق جماعات مسيطرة و أخرى مسيطر عليها تختلفان في المصالح و الأهداف. و من هنا يمكننا أن نستعين بهذه المقاربة لفهم الواقع الاجتماعي و ما يشوبه من صراع حول فرض هوية ما دون أخرى و محاولة الإقصاء و الإقصاء المضاد و ما تتسم به النخب المثقفة و السياسية من صراع المصالح على حد قول " ماركس " في التعامل مع هذه القضية الشائكة.

-المنهج

يقصد بالمنهج تلك الطرق والأساليب التي تستعين بها فروع العلم المختلفة في عملية جمع البيانات واكتساب المعرفة (الجوهري، 1982 ، صفحة 182). من الميدان ولكل ظاهرة أو مشكلة بعض الخصائص التي تفرض على الباحث منهجًا معينًا لدراستها، ويمكن للباحث أن يستخدم عدة مناهج وطرق متكاملة تعينه – الباحث– في تحقيق هدفه العلمي( )حسن, 1979.(p. 255 , وفي هذه الدراسة سوف نستعين – و في إطار التكامل المنهجي -بالمنهج التاريخي و المنهج الوصفي التحليلي.

-تصميم أداة جمع البيانات (الاستبانة):

لقد استعنا في دراستنا الراهنة بدليل يضم محاور الاستبانة كأداة لجمع البيانات من مجتمع البحث، و قد قمنا بوضع أسئلة بطريقة تمكننا من الحصول على البيانات التي تتصل بموضوع الدراسة، فقد صغنا العديد من الأسئلة التي تخدم تساؤلات الدراسة وأهدافها وقد تم عرض الأسئلة على مجموعه من الأساتذة

والزملاء لقياس صدق الأداة و الاستفادة من الملاحظات التي يبدونها. و عليه تم إجراء بعض التعديلات. وقد روعي أن يشتمل دليل الاستبانة على ما يلي:

01-لغة المنشأ للمبحوث

02-مكان المنشأ

03-المسار التعليمي و لغته

04-النشاط الثقافي أو الإجتماعي أو السياسي للمبحوث و لعائلته

05-في رأيكم كيف تكونت الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري؟و كيف تم هذا التركيب الهوياتي؟

06-ما هي الدلالات والقيم التي تحملها الفرنسية بالنسبة لكم؟

07-ما هي نظرتكم للعلاقة بين الإحتلال الفرنسي و الهوية الثقافية الجزائرية؟

08-هل الاستعمار الفرنسي همش الثقافة العربية- الإسلامية؟

09-هل التعليم الفرنسي سبب بروز الحركة الوطنية؟

10-هل يمكن التفريق بين الفرنسية و الاستعمار؟

11-ما هو موقف الوالد والعائلة من التعليم باللغة الفرنسية؟

12-هل الوالد والعائلة متفتحون على الثقافة الغربية الحديثة؟

13-هل اللغة الفرنسية راقية مقارنة بالعربية؟

14-كيف تحددون كلا من المعرب و المفرنس بالنسبة للحداثة والوطنية؟

15-ما هو تحليلكم لمختلف أطروحات الحركة الوطنية للهوية الجزائرية؟

16-ما هي مكانة الهوية في المشروع الإجتماعي للدولة الجزائرية المستقلة؟

17-ما هو موقفكم من مطالب الحركة الأمازيغية؟ وكيف تتصورون الهوية الأمازيغية؟

18-ما هو موقفكم من ترسيم اللغة الأمازيغية؟

19-ما هو موقفكم من إجبارية تعميم تعليم اللغة الأمازيغية في المدرسة الجزائرية؟

20-ما هو موقفكم من التعريب؟

21-هل التعريب سياسة إيديولوجية وليست بيداغوجية؟

22-هل التعريب استرجاع للسيادة الوطنية ؟

23-هل التعريب ضرورة دينية؟

24-هل اللغة العربية لغة الإسلام أم لغة العرق العربي في الجزائر؟

25-هل العربية هي سبب التخلف؟

26-هل كانت للوالد أوللعائلة ميول للثقافة العربية الإسلامية؟

27-ما هو موقفكم من مطالب الحركة الإسلامية فيما يخص الهوية؟ ما هو دورالإسلام في تشكيل الهوية الجزائرية؟

28-كيف تحللون العلاقة بين الخطاب الرسمي حول الهوية و الواقع الثقافي الجزائري؟

29-في تصوركم هل يعيش المجتمع الجزائري أزمة هوية؟ و لماذا؟

30-في رأيكم ما هو العنصر من عناصر الهوية الجزائرية الأكثر بروزا عبر تاريخ الجزائر ؟

31-ما هو تصوركم لثقافة المواطنة؟

32-في نظركم هل يمكن إعادة بناء الهوية الجزائرية وفقا لمنظور" ثقافة المواطنة"؟ و لماذا؟

العينة:

إنه من المهام الصعبة على الباحث أن يقوم بتطبيق دراسته على جميع أفراد المجتمع، و لذا فإن الباحث يكتفي بعدد محدود من أفراد المجتمع الأصلي، يتم التعامل معها في حدود الوقت المتاح له والإمكانيات المتوفرة وفق منهج معين شريطة أن تكون هذه العينة ممثلة تمثيلا صادقا لأفراد المجتمع- محل الدراسة و يتم دراستها ثم تعمم نتائجها على المجتمع بأكمله و لما كانت الدراسة الراهنة تنصب على دراسة تصورات المثقف لهويتنا الثقافية ، كان علينا أن نحدد المنطقة – محل الدراسة– و التي تشمل العينة وهي ولاية البويرة التي تمثل ولاية مسكن الباحث إضافة إلى خصوصيتها الديموغرافية و الثقافية إذ تتكون من ناطقين بالقبائلية وناطقين بالعربية و يزخر مشهدها السياسي بكل التيارات السياسية من وطني إلى إسلامي إلى لانكي و عليه فقد حددنا العينة التي ستجرى عليها الدراسة من مجموعة من المثقفين و ذلك وفق ما أفرزه المجال الثقافي للولاية بكل حساسياته و تياراته الايديلوجية.

لقد تم اختيارها بطريقة عمدية" مقصودة "وذلك باختيار بعض الحالات التي يعتقد أنها تمثل المجتمع في الجانب الذي تتناولها الدراسة و عليه فإننا أجرينا دراستنا على عينة تم اختيارها بطريقة عمدية من مجتمع البحث و اختيار هذه الحالات – و لقد قسمت العينة إلى ثلاث فئات رئيسية هي كالتالي:

1-فئة المثقفين الذين كانت لديهم إسهامات و إبداعات فكرية في صميم الموضوع محل الدراسة و هم أكاديميون جامعيون من بينهم رئيس المجلس الأعلى للغة العربية الحالي صالح بلعيد و الدكتور " سعيد بويزري" و الوزير السابق الدكتور " سعيد شيبان"

2-فئة المثقفين العضويين بتعبير " غرامشي "والذين يمثلون طائفة معينة من المجتمع و يساهمون في ترجمة المطالب الهوياتية إلى مطالب سياسية و ثقافية لنصرة قضيتهم ، و تضم هذه الفئة جميع رجال السياسة التمثيليين بمعنى المنتخبين من القواعد الشعبية دون استثناء أعضاء مؤسسين في الحركة الثقافية البربرية بالإضافة إلى رؤساء بعض الجمعيات الثقافية الناشطة في هذا المجال ومنهم رئيس جهة الجزائر المعاصرة

والأمين الوطني لجبهة القوى الاشتراكية وعضو مؤسس لحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية ومحافظ FLN و رئيس المجلس الشعبي الولائي RND ومناضل من حركة الإصلاح وأحد نشطاء التنصير في منطقتنا.

3-أما الفئة الأخيرة فتضم جميع من يساهم في بناء أو توجيه الرأي العام حول القضية، و نجد ضمنهم الصحفيين و الأساتذة. هذا وقد حرصنا قدر الإمكان تنويع الاختيار في كل تيار آخذين بعين الاعتبار لغة المنشأ ومكان المنشأ....

عرض النتائج و مناقشتها:

سنحاول عرض نموذج تحليل لبعض الإجابات نظرا لكون المجال لا يسمح بعرض تحليل كل الإجابات عن كافة الأسئلة التي طُرحت.

مثال :

1 – عن موقف المبحوثين من اللغة الفرنسية :

على ضوء الإجابات التي استقيناها من المبحوثين ، لا حظنا بشكل عام تباينا كبيرا في مواقفهم تجاه اللغة الفرنسية ، فمثلا عن السؤال : ما هي الدلالات والقيم التي تحملها الفرنسية بالنسبة لكم؟ فكانت الإجابات كالتالي بحسب متغير لغة المنشأ:

مبحوثان ناطقان بالقبائلية يريان بأن الفرنسية لغة كباقي اللغات في مقابل مبحوث واحد ناطق بالعربية.

20 مبحوثا ناطقا بالقبائلية يرون بأنها لغة الحداثة و العلم و القيم الجمهورية و التحرر الخ ... في حين لم ير أي ناطق بالعربية هذه الدلالة للفرنسية.

مبحوثان فقط ناطقان بالقبائلية يريان بأنها لغة الاستعمار و الظلم و لا قيمة لها في مقابل 9 مبحوثين ناطقين بالعربية يرون ذلك.

3 مبحوثين ناطقين بالقبائلية يرون بأن الفرنسية إرثا استعماريا يمكن الاستفادة منه في مقابل 3 من الناطقين بالعربية.

من النظرة الأولى نلاحظ أن للمبحوثين مواقف متباينة تجاه اللغة الفرنسية في الجزائر ، ما يعطي انطباعا بأن لغة المنشأ تساهم بقدر كبير في تشكيل الرؤية و التصور حول الاصطفاف وراء موقف معين من الفرنسية و يمكن تفسير هذا كما يلي: أن الإرث التاريخي له تأثير كبير في صياغة هذه المواقف ، إذ نجد أن الناطقين بالقبائلية و بحكم الهجرة المكثفة التي اضطر إليها أسلافهم إبان الاستعمار ، قد جعلهم يجتازون تلك النظرة العدائية للفرنسية ، حيث أن الفرنسية كلغة قد ساهمت في رفع المستوى الاقتصادي للمهاجر و من مستواه الثقافي و السياسي و العلمي فساهمت بقسط كبير في تفتح القبائل على الثقافة الغربية التي تحمل من بين ما تحمله قيم الحرية و الديمقراطية و المساواة و العدالة العلم و المعرفة .و بفعل التنشئة الاجتماعية نلاحظ أن الأجيال اللاحقة من القبائل حافظت على نفس التوجه الإيجابي حيال الفرنسية في حين نجد أنه و بفعل

سياسة الاستعمار الاستعبادية والظالمة و التي وضعت الفرنسية في وجه العربية، إن الناطقين بالعربية من المنطقي جدا أن ينحوا هذا المنحى تجاه الفرنسية ، لكونها كانت قرينة بالممارسات العنصرية للاستعمار و لكونها كانت أداة في يد الاستعمار للقضاء على مقوم رئيسي من مقومات هويتهم و هي العربية. . و النتائج التي تأتي بعدها ستؤكد تباعا و بصورة جلية مدى تأثير لغة المنشأ على بناء التصورات لدى المبحوثين حول القضايا الهوياتية المطروحة على عكس مكان المنشأ الذي لم يكن له تأثير ذا دلالة في تشكيل تلك التصورات .

2 – عن **علاقة لغة المسار التعليمي بموقف المبحوث من التعريب** :

على ضوء الإجابات التي استقيناها من المبحوثين ، لا حظنا بشكل عام تباينا كبيرا في مواقفهم تجاه عملية التعريب ، فمثلا عن السؤال : ما هو موقفكم من التعريب ؟ فكانت الإجابات كالتالي:

5 مبحوثين معربين يعارضون عملية التعريب مع شحن ايديلوجي عرقي أو سياسي في مقابل 14مبحوثا مفرنسا.

3 مبحوثين معربين يعارضون عملية التعريب لكون التعريب لم يكن مدروسا في مقابل مبحوثين مفرنسين.

16 مبحوثا معربا يؤيدون عملية التعريب لكون التعريب ضرورة إما وطنية أو دينية في حين لم يؤيد أحد من المبحوثين المفرنسين هذه الفكرة.

من خلال هذه الإجابات نلاحظ أن للمبحوثين مواقف متباية تجاه عملية التعريب التي باشرتها الدولة الجزائرية، ما يعطي انطباعا بأن لغة المسار التعليمي تؤثر بقدر كبير في تشكيل الرؤية و التصور حول الاصطفاف وراء موقف معين من التعريب و من اللغة العربية ككل و يمكن تفسير هذا

التمايز بين الفئتين على أساس لغة المسار التعليمي ، فالمفرنسون ضد التعريب بمئة بالمئة .و هذا يمكن تفسيره بكون اللغة كانت محور الصراع الهوياتي منذ الاستعمار ، بين العربية و الفرنسية ، و استمر ذلك الصراع حتى بعد الاستقلال فتغير فقط الفاعلون . ففي الأمس كان الصراع بين المستعمر (بكسر الميم)و المستعمر أو بين المهيمن و الخاضع فأصبح بعدها بين ما بعد مستعمرين " post- colonisés". بين مفرنسين تولوا قيادة الصراع بالنيابة عن الاستعمار أي الحرب بالوكالة ، في مقابل المعربين الذين بقوا على مواقعهم.و منه يتجلى هذا الصراع بوضوح بين المفرنسين و المعربين على أساس اللغة و من ورائها التوجه الثقافي و السياسي للمجتمع ككل.

. و النتائج التي تاتي بعدها ستؤكد تباعا و بصورة جلية مدى تأثير لغة المسار التعليمي على بناء التصورات لدى المبحوثين حول القضايا الهوياتية المطروحة .

3 - علاقة التوجه السياسي بموقف المبحوث من مطالب الحركة الأمازيغية و من الهوية الأمازيغية:

على ضوء الإجابات التي استقيناها من المبحوثين ، لا حظنا بشكل عام تباينا كبيرا في مواقفهم تجاه مطالب الحركة الأمازيغية و من الهوية الأمازيغية ، فمثلا عن السؤال : ما هو موقفكم من مطالب الحركة الأمازيغية؟ و كيف تتصورون الهوية الأمازيغية؟ فكانت الإجابات كالتالي:

4 مبحوثين من التيار الوطني يرون أنها مطالب مشروعة و الهوية الأمازيغية جزء أو أصل الهوية الجزائرية في مقابل مبحوث واحد من التيار الإسلاموي و 12 من التيار الديمقراطي و 5 من التيار المسيحي .

3 مبحوثين من التيار الوطني يعارضون مطالب الحركة الأمازيغية و لكنهم يقرون بالهوية الأمازيغية الجزائرية في مقابل مبحوثين اثنين من التيار الإسلاموي و مبحوث واحد من التيار الديمقراطي و لا أحد من التيار المسيحي لكون كليتهم في الفئة الأولى أعلاه .

مبحوث واحد فقط من التيار الوطني يؤيد مطالب الحركة الأمازيغية و لكن بشرط في مقابل 5 مبحوثين من التيار الإسلاموي و 2 من التيار الديمقراطي و و لا أحد من التيار المسيحي لكون كليتهم في الفئة الأولى أعلاه .

مبحوثان من التيار الوطني يعارضون مطالب الحركة الأمازيغية جملة و تفصيلا

الجزائرية في مقابل مبحوثين اثنين من التيار الإسلاموي و و لا أحد من التيار ين الديمقراطي و المسيحي.

من خلال هذه الإجابات نلاحظ أن للمبحوثين مواقف متباية تجاه مطالب الحركة الأمازيغية و تصورهم للهوية الأمازيغية في الجزائر، ما يعطي انطباعا بأن التوجه السياسي للمبحوث يؤثر بشكل جلي في تشكيل الرؤية و التصور حول الاصطفاف وراء موقف معين من مطالب الحركة الأمازيغية و تصورهم للهوية الأمازيغية في الجزائر و من اللغة الأمازيغية ككل و يمكن تفسير هذا كالآتي:

بالنسبة للتيار المسيحي فنجده منغمسا في هذه القضية حتى النخاع ، و ربما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار مشروع" برنار لويس "لتفتيت الشرق الأوسط ، نجد أن الجزائر مستهدفة بالتقسيم تحت طائلة حماية الأقليات و ذلك إما بورقة البربرية و إما بورقة المسيحية ففي هذه الحالة نجد التلاحم التام بين البربرية و المسيحية ، و بخاصة بعد ما صرحه لي أحد الأفراد النشطين في هذا التيار بأنهم تلقوا كل الضمانات من السفارة الأمريكية التي يترددون عليها مرارا .أما بالنسبة للتيار الديمقراطي ففي اعتقادي مازال

يتخذ من الأمازيغية قضية لنضاله السياسي إلا أنه بدرجة أقل 80 % و هذا ربما يعود لكثرة تسييسها حتى كادت تتميع القضية.أما التيار الوطني فنجد أن موقفه تطور بالنظر إلى ما كان عليه من قبل ، إذ أصبح قسم منه (الوطني البربري) يؤيد المطالب و يقر بالهوية الأمازيغية و البعض يؤيد بشرط ترك فكرة تقسيم البلاد و كتابة الأمازيغية بالحرف العربي و لكن مع ذلك يبقى أن هناك من لا يعترف لا بالمطالب الأمازيغية و لا بالهوية الأمازيغية و هنا نكمن الخطر الهوياتي.أما التيار الإسلامي فغالبيته يؤيد و لكن بشرط تجنب العرقية و معاداة الإسلام و تخليص الأمازيغية من الفرنسة و هذا طبعا من الناطقين بالقبائلية، و لكن مع ذلك أيضا هناك من يعارض جملة و تفصيلا المطالب و الهوية الأمازيغية . و هنا ملمح مهم هو أن لغة المنشأ

تؤثر في موقف المبحوث ، لأنه في نفس التيار نجد من يؤيد تماما و هم من القبائل كلهم و من لا يعترف أصلا بالقضية و هم من العرب .و كذلك نفس الملاحظة في التيار الوطني. . و كل النتائج التي تاتي بعدها ستؤكد تباعا و بصورة جلية مدى تأثير التوجه السياسي للمبحوث على بناء تصوراته حول القضايا الهوياتية المطروحة .

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذا البحث مطارحة مسألة غاية في المشاكلة، و هي ثنائية المثقف/الهوية، لنحاول مساءلة المشهد السوسيو-ثقافي و ذلك بهدف الوقوف على أهم العوامل التي تشكل تصور المثقف للهوية الثقافية الجزائرية. فتلمسنا مدى اتساع الهوة بين مختلف فاعلي المشهد الثقافي حول المسألة. حيث كان لعامل اللغة الدور المحوري في تشكيل تلك التصورات، انطلاقا من لغة المنشأ ثم لغة المسار التعليمي التي تبني الخلفية السياسية و الثقافية للمثقف. و هذا ما يعزز العلاقة بين اللغة و الفكر أو التفكير ،فيمكن القول أنها ليست مجرد وسيلة لنقل الأفكار ، و إنما هي ذات ارتباط وثيق بالأفكار التي تنقلها ، و ذات تأثير فيها و تأثر بها ، و كل لغة تحمل أفكارا و معاني و أحاسيس لا تدرك إلا بها(اللغة) .و في هذا الصدد يقول " فيخت " :"إن اللغة تؤثر في الشعب الذي يتحدث بها تأثيرا لا حد له ، يمتد إلى تفكيره و إرادته و عواطفه و تصوراته و إلى أعماق أعماقه ، و أن جميع تصرفاته تصبح مشروطة بهذا التأثير و متكيفة به (قاسم، 74، صفحة 29) ".

و لقد لاحظنا أن عينة البحث قد استبطنت مجموعة من الأحكام حول اللغات المحلية فسموها دارجة أو لغة الشارع أي أنها لا ترقى إلى مصاف اللغات الحقيقية و أنها لغات التقسيم و التشتيت، في مقابل العربية الفصحى التي تُعتبر اللغة المجودة التي تُخطب بها الخطب البليغة و تُكتب بها الرسائل المُجودة، و يُنظم بها الشعر الرصين و تدون بها المعارف العلمية الرفيعة و هي فوق هذا و ذاك لغة الوحي الذي يربط السماء بالأرض و الدنيا بالآخرة و هي عامل للوحدة كما يرى ذلك جان لويس كالفي :" اللغة علامة على الموقع الاجتماعي و الجغرافي .و في كل مرة يقع فيها نزاع بين هذه المواقع ، يكون للغة فيه الدورالفعال و قد تكون هي موضع الرهان في هذا التراع برمته. ويمكن أن يؤدي الصراع بين لغة الجماعة الكبيرة و لغة جماعة فرعية إلى زوال إحداهما .حين يبدو الانتماء للجماعة الفرعية الصغيرة أقل أهمية من الانتماء للجماعة الكبيرة التي تضمها فحين ذاك تكون لغة الجماعة الكبيرة محايدة، لا علامة لها، فتصبح بذلك نقطة التقاء تتجه نحوها مختلف لغات الجماعات الفرعية الصغيرة (كالفي، 2005، صفحة 144) ، و هذا رغم أن اللغات العامية أو المحلية تحتفظ بذخائر كثيرة من الشعر و الأدب و الوجدان و ذاكرة الشعوب و روحها، إلا أننا نجد الواقع السوسيو-سياسي قد أفقرها و احتقرها ليختزل الهوية في الرسمانية فقط و يتبنى "التعريب مرادفا للتزود و الرجوع إلى شرعية استرجاع مقومات الهوية العربية و التي لا تتحقق إلا باسترجاع اللغة العربية ، استرجاع الكرامة التي دنسها المحتلون و هي الشرط الأساسي للتصالح مع الذات" (Khaoula, 1997, p. 184). و لقد وجدنا اختلافا

بحسب لغة المسار التعليمي، "و الحقيقة أن الفرق بين الفئتين هو طبيعة الثقافة التي يستلهم منها كل توجه أفكاره، فالأول مناصر للتعريب" يتحكم في قواعد اللغة العربية وآدابها ويمثل نمط الثقافة العربية الإسلامية وله إحساس الانتماء إليها " أما التوجه الثاني " متأثر بالثقافة المنقولة بواسطة اللغة الفرنسية، ويأخذ مصادره من ".رموز العالم الغربي، الذي لا يمكن الدخول إليه إلا بواسطة اللغة الفرنسية" (Ibrahimi، 1997، صفحة 76)، كما أن التحليل الفاحص لبيانات الفرضية الثانية يؤكد أن الخلفية السياسية للمثقف تؤثر بشكل جلي على تصوره للهوية الثقافية و هذا أمر طبيعي جدا، و ذلك لكون السجال الهوياتي يتمحور أساسا حول قضايا مشروع المجتمع الذي تمثل هويته العمود الفقري الذي تبنى عليه برامج التعليم و التنمية و الاقتصاد و الثقافة و الدين. وهذا التركيب المعقد بين لغة الأم و اللغة الرسمية و لغة العلم الاقتصاد و السياسة أدى إلى تشكل اصطفافات للمثقفين خلف مواقف متمايزة بخصوص النظرة الاستشرافية لقضية الهوية و إمكانية إعادة تشكيلها وفق ثقافة المواطنة و ذلك بسبب الموقف المتمايز للمثقفين من محورية الدين في المشهد السوسيو-ثقافي الجزائري.

إذن ، ما يمكن ملاحظته هو أن الخلفية الثقافية و التي تم تحديدها بلغة المنشأ للمبحوث من حيث التنشئة الاجتماعية في محيط الأسرة و بلغة المسار التعليمي للمبحوث بالإضافة إلى توجهه السياسي و الإيديلوجي كان لها الدور الكبير في بلورة بعض المواقف والتصورات حول بعض القضايا الحساسة كقضية التعريب و الموقف من الفرنسية و الأمازيغية و الإسلام. و لكن ما لاحظناه أن المرجعية الثقافية لم تكن المحدد أو العامل الوحيد لبناء مواقف وتصورات المبحوثين ، بل هناك عوامل أخرى وهامة تعلقت خاصة بالتغيرات الإجتماعية الكبيرة التي شهدتها الجزائر و لا زالت، بما فيها التغيرات الاقتصادية وعمليات التثاقف.

و بهذا تكون هذه الدراسة قد لامست موضوعا غاية في الأهمية لما يمكن أن تقدمه من أدوات فهم للتجاذبات التي يشهدها الحقل الثقافي الجزائري و الذي قد يقف عائقا في تحقيق التجانس الاجتماعي و التنمية الاقتصادية خاصة في ظل الرهانات التي تعيشها الجزائر و التحديات التي يفرضها المحيط الجيو-سياسي الإقليمي و العالمي.

قائمة المصادروالمراجع :

أبوالقاسم سعد الله. (1985). تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن 10 هـ إلى 14 هـ (16 م إلى 20 م (الإصدار 1، المجلد 2). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

أبوب، سمير. (1985). العلاقة بين النظرية السوسيولوجية و التوجيه الاديولوجي". ، الفكر العربي، (37-38).

بيار بورديو. (1995). ، "أسئلة علم الإجتماع. (فتحي إبراهيم،، المترجمون) القاهرة، مصر: دار العالم الثالث، ، (في مقدمة الكتاب).

جون بول ساتر. (1973). دفاع عن المثقفين, , , ط (المجلد 1). (جورج طريشي، المترجمون) بيروت، لبنان: . دار الآداب.

حمادي عبدالله. (11, 1993). الإيديولوجية الفرنكوفونية للطلبة المسلمين. ينابيع(6).

ريمون و بورتيكوا فرانسوا بودون. (1986). , المعجم النقدي لعلم الإجتماع (المجلد 1). (سليم حداد، المترجمون) بيروت، لبنان: م.ج.د.ن.ت.بيروت.

سعد الله، أبو القاسم. (1985). ، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن 10 هـ إلى 14 هـ (16 م إلى 20 م (الإصدار 1، المجلد 2). ، المؤسسة الوطنية للكتاب،.

شارل روبير آجرون. (2002). المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية. الجزائر، الجزائر: منشورات ثالة.

شعلال باهية. (06, 2012). الصحافة الجزائرية المكتوبة بين تضليل الرأي العام و أخلاقيات المهنة حول أحداث منطقة القبائل 2001 . الجزائر.

عبد الباسط محمد حسن. (1979). أصول البحث الاجتماعي. القاهرة: مكتبة وهبة،.

عبد الهادي الجوهري. (1982). .معجم علم الاجتماع182. القاهرة : مكتبة نهضة الشرق .

غسان إسماعيل عبد الخالق. (1997). العولمة الإسلاميةبين مقولة التفوق الكوني و مقولة التواصل الإنساني. القاهرة: دار النشر مصر .

غيث محمد عاطف. (1996). , قاموس علم الإجتماع. جمهورية مصر العربية: دار المعرفة الجامعية.

فراجي محمد أكلي. (1996). سوسيولوجيا النماذج التنظيمية للمجتمع القروي القبائلي. الجزائر.

لويس جان كالفي. (2005). حرب اللغات و السياسات اللغوية. (حسن حمزة، المترجمون) بيروت ، لبنان ،: مركز دراسات الوحدة العربية.

محمد شفيق. (1998). : البحث العلمي – الخطوات المنهجية لاعداد البحوث الاجتماعية . الإسكندرية ،: المكتبة الجامعية الحديثة ،.

محمد عابد الجابري. (1998). التعليم في المغرب العربي،. دار العلم للملايين .

محمد عابد، الجابري. (1994). المسألة الثقافية. سلسلة الثقافة القومية (25) قضايا الفكر العربي. بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

مولود قاسم. (نوفمبر , 74). " أنية و أصالة". ،مجلة الأصالة الجزائرية(18).

ولد خليفة محمدالعربي. (2003). .المسألة الثقافية. الجزائر: ،ديوان المطبوعات الجامعية.

A), Bouzida .(1970) .L'Idiologie de l'instituteur Algérien .Alger: SNED.

)E.M, Lipiansky .(1990) .identité subjective et interaction .Stratégies identitaires.

)M), Haddab .(1997) .Types d'Intellectuels en Algérie .Problème de classification et de éthode) .ed casbah (المحرر، Réflexions ،N1.

Abdelghani Magherbi .(1986) .Culture et Personnalité Algérienne de Massinissa à nos jours .alger: ENAL, OPU.,

BOUZAR . Wadi .(1982) .La Culture en Algérie .Alger: . ENAP.

DOMINIQUE GLASMAN et JEAN KREMER) .sd .(Essai sue l'Université et les Cadres en Algérie .Paris: Ed du CNRS., ,

Gramchi Antonio .(1977) .Les Textes . Paris :E.S paris.

Ibrahimi Taleb Khaoula .. .(1997) .Les algériens et leur (s) langue (s)- éléments pour une approche sociolinguistique de la société algérienne .Algerie: Editions : El- Hikma.

Idir .(2010 ,03 15) .www.alarabonline.org تم الاسترداد من .www.alarabonline.org: www.alarabonline.org

J.leif .(1974) .philosophie de l'education .(4 المجلد) ed Delagrave.

M.Debesse et G.Mialaret .(1974) .traité des sciences pedagogiques .pedagogie.

Noureddine Toualbi. .(2001) .L'identité au Maghreb ,l'errance .casbah edition.,

Ouali Ilikoud .(1999 ,06 10) .la France et le berberisme .Paris ،France.

R.lafont .(1984) .dictionnaire de psychologie .opu.